الكتاب الجديد

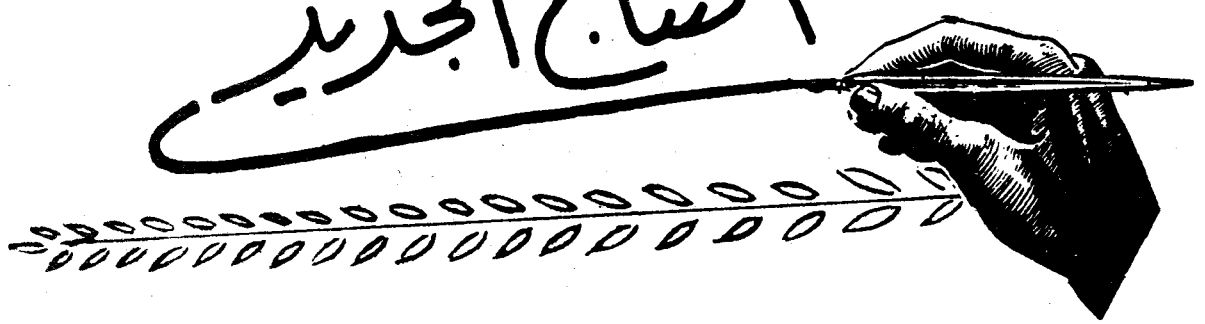

الشعر والشعراء في السودان

بقلم احمد ابو سعد

دار المعارف ـ لبنان ١٨٩ صفحة

مختارات من الشعر السوداني المعاصر جمعها صاحب « قصائد دافئة » وصدرها بدراسة حول نشأة الشعر العربي وتطوره في السودان كما ضم اليها تراجم نقدية موجزة لابرز شعراء السودان المعاصرين .

الدراسة رغم ايجازها تلم بجميع نواحي الموضوع وترينا تطور الشعر في السودان كانه نسخة عن تطوره في مراكز النهضة الادبية الحديثة ، الا ما كان من اختلاف يعود الى تاثير الزمن والبيئة .

يحرص الكاتب على انتهاج الاسلوب العلمي الذي يجتنب المسايرة والانحياز ، فنراه مع حرصه على بث الروح القومية من خلال الدراسة التي قام بها لايغفل عن مهاجمة الرجعيين الذين يريدون حبس النـاس في الثقافة العربية دون غيرها والوقوف في وجه الاستفادة من تجارب الشعراء المحدثين في العالم « ص ١١ » واذا تحدث عن الحركة الرومنطيقية التي سادت بين ١٩٢٨ و ١٩٤٨ ينوه بفضل هذه الحركة ويبسط العوامل التي ادت الى انحلالها . ثم يحاول ان يعلل الاسراف الرومنطيقي عند بعض شعراء السودان بتمكن الروح الصوفية في هذا القطر وشدة الضغط من جانب البيئة المحافظة .

وفي كلامه على الاتجاه الواقعي الاخير لا يهمل الاشارة الى عيوب هذا الاتجاه بعد التوسع في وصف محاسنه ومميزاته . لكنه يجد لهذه العيوب عذرا بقوله ان المذهب لايزال في بدء الطريق .

اما المختارات التي تؤلف معظم الكتاب فيظهر فيها حسن التبويب والتنويع . وكنت اود ان ارى لها فهرسا مفصلا في اخر الكتاب .

ونلتهي من مراجعة الكتاب وفي اعتقادنا ان بلادا تبلغ مساحتها مليونين ونصفا من الكيلو مترات وسكانها اكثر من ثمانية ملايين ، لا بد ان تكون مهيأة للقيام بدور خطير في هذا الجزء من العالم ، سواء في الحقل الادبي ام في غيره .

روز غريب

ملاحظة : صدر مؤخرا لصاحب الكتاب حلقة ثانية من تاريخ الشعر العربي المعاصر ، موضوعها « الشعر العربي في العراق » دراسة ومختارات في ٣٤٥ صفحة من القطع الكبير . ولنا كلمة اخرى في هذه الحلقة .

خمر الشباب

بقلم صباح محيي الدين

منشورات دار الحياة ـ بيروت

لم يكن صباح محيي الدين يبدو على حقيقته في اقاصيصه القصيرة، فبعض تلك الاقاصيص كنا نظنه لمجرد الاثارة والترفيه بتشديده فيه على الناحية الجنسية ، كما انه في البعض الاخر كان يبدو ، هو ذاته ، مزعزع الاتجاه ، لا فكرة له او مبدأ ، بل هي كتابة لاجل التنفيس الادبي فقط ، اما وهو يطل علينا بكتابه « خمر الشباب » فلم يبق بوسعنا تجاهل هدفه الادبي. حيث هو يتضح ويتساند ببعض ما انتجه سابقا ليكون اتجاها معينا ، يظهر سافرا لكل من يستشرفه .

ليس الاستاذ صباح اول من سلك هذا الاتجاه التحرري في ادبنا القصصي ، فكثيرون غيره قد سلكوه قبله ، ولكنهم لم يوغلوا فيه ايفاله هو ، ولم يبد التعمد له كما بدا عنده هو . ومن تعمده وتشديده على ناحية ادبية معينة نستنتج انه يدعو الى مبدأ اجتماعي تحرري بين الجنسين . وهذا ما يثير المربين والباحثين الاجتماعيين اكثر مما يثير ناقدي الفن والقصة . فهو يزيل ، دفعة واحدة ، كل الحدود والحواجز التي تحول دون اشباع الرغبات الجنسية. ومثل هذه الاراء الجريئة تبدو غريبة عن مجتمعنا المتحفظ ، لا رابطة لها بواقعنا ولا نتيجة تربوية منها، حيث هي بدلا من ان تحمل في ثناياها عرضا لتطبيقها في مجتمعنا الشرقي تحمل دعوة غير مباشرة لفتياتنا لزيارة لندن وباريس لتجربة حريتهم هناك . ولعل هذا الخطأ هو الخطأ الاساسي الذي يرتكبه اغلب الذين يعالجون مشكلة حرية اختلاط الجنسين عندنا ، حيث هم لا يبتدئون بالتصعيد من الدرجة الدنيا التي نعيش فيها من هذه الناحية ، بل هم يكتبون ، ويبالغون احيانا ، مبتدئين من الدرجة البعيدة التي تعيش عليها المجتمعات المتحررة . وهكذا تبقى دعوتهم خيالية لابتعادها عن واقع مجتمعنا .

ان كتاب « خمر الشباب » من الناحية الفنية ، اذا صح لنا ان نسميه قصة، يدعونا لان نعيد النظر بالتعريف الفني لمقومات القصة، اذ هو يقارب ان يكون تسجيلا لاحاديث عادية متنوعة مع وصف لحياة شابين من حلب في لندن . وهذه الاحاديث تتنوع في شتى الشؤون ، حتى السياسية منها ، ولكن بالطبع تغلب عليها جميعا الوقائع والذكريات الجنسية ، حيث هي التي يقصد المؤلف ابرازها . ان القصة مليئة بالحشو ، حتى ان

حشر بعض الاحاديث يعيق سرد الوقائع الرئيسية ويجعله يتتبع سرد قصة جديدة ضمن القصة التي يقرأها. وتلك الموضوعات ذاتها التي تربك السرد لا تخلو من فائدة غالبا ، وهذا ما يحملنا على الظن بانها لم توجد عفوا ، رغم ما بها من اخلال فني ، فهي تكون في الاغلب قرائن للتحقق من سلوك شخصيات القصة والعوامل التي أثرت بهم وتوجههم منذ طفولتهم ووعيهم الجنسي . ومثل هذا الاسلوب الطريف لا يخلو من متعة للقاريء المثقف الباحث عن التحليل النفسي.

لم تتضمن القصة مفاجآت او حوادث غريبة مثيرة ، كتلك التي يبحث عنها القصاصون لجعلها مواد لقصصهم ، فهي قصة قد تحدث لاي شاب يخرج من بيئة فيها الحواجز الشديدة بين الجنسين الى مجتمع منفتح لتلقي حوادث الجنسين ، على السواء ، برحابة صدر وتسامح . ومن خلال الحوادث نستشف رغبة المؤلف وتعمده لاعطاء الجسد حقه من الاهتمام . فذكريات الطفولة الجنسية التي يمر بها المراهقون ويخجلون في شبابهم من تذكرها ، حتى لانفسهم ، نجدها عنده ، بكل صراحة حجة كبرى لادانة الداعين الى الخطر والرقابة على الجنس ، ومن ذلك قصة الفتيين والديك الرومي في حلب.

ان الفتاة في مجتمع صباح محيي الدين ليست مجرد وسيلة لقضاء شهوة الرجل واشباع رغباته الجسدية ، بل هي انسان مثله تحس وترغب وتشتهي وتطلب بجرأة ، ولا تتسامح مع من لا يقدر لها تلك الرغبات ويفيها حقها من المتعة .

وفق المؤلف بتحديد معالم شخصيات قصته ، فاعطى كلا منهم طابعا خاصا به . فهو منذ الصفحة الاولى يعطي فؤاد صفة الشرقي الاصيل، المتحرق للقاء المرأة والسابق دوما الى مكان الموعد يعد الثواني ويترقب كل انسان يمر امام ناظريه لعله يلقى فيه فتاة معهده. اما هذا التحرق فلم يكن يستطيع اطفاءه، فهو بحكم تربيته الشرقية المتحفظة يرفع المرأة الى مكان التقديس في نفسه. فيتغابى عن رغباتها الجسدية وذلك ما يجعلها تنفر منه ، فتتركه ثلاث فتيات في غضون عشرة ايام فقط . لم يكن مجرد شذوذ هذا السلوك عند فؤاد كفرد ، بل يؤكد لنا المؤلف ، في سياق القصة بان الشرق المحافظ بأكمله يقف وراء فؤاد . هو يحاول التخلص من ذاته تلك ، ولكنه لا يستطيع ، فنراه يلاحق الفتاة ((ماري)) في اول الامر لاجل المتعة ولكي يستطيع مضاهاة ابن عمه ((وليد)) في مغامراته . ولكنه ما ان يعاشر الفتاة بعض الوقت حتى ينطلق معها كعادته في حب مثالي روحي. ولا عجب من ذلك ، فهو ابن الحاج مصطفى من حلب ، نشا في بيت محافظ ، فتى مدللا ، لم يتعود الاعتماد على نفسه وخلق رأي لذاته ، فكانت تربيته وآراؤه صفحة صادقة عن تربية وآراء والده الشرقي الذي اختار له المدرسة واختار له الجامعة واختار له الذهاب الى لندن واختار له خطيبته في حلب ايضا ، كما ورد في الفصل الحادي عشر على لسان ابن عمه وليد ، وهو يذكره بضرورة قيادة نفسه بنفسه .

اما وليد ابن عم فؤاد ، فهو يسخر منه دائما ويسخر من تصرفاته تجاه الفتيات ، وهو يذكره برغبتهن الجسدية ، ويطبق آراءه لذاته، فيعاشر من تحضر منهن ، دون اعتبار لغير الجنس فيهن ، فيذكره ويناقشه فؤاد في تصرفاته تلك ، مرددا بان التفاهم بين الرجل والمرأة هو اكثر من تفاهم حيوانية الاثنين . ولكن وليد يتمعن في سخريته ، ويكرر اسئلته لابن عمه عدة مرات ، فيما اذا كان نال من مادي فتاة احلامه شيئا ، فيشمئز فؤاد لمثل هذا السؤال ويعتبره اهانة لمقدساته . ووليد الفوضوي بسلوكه لم يكن سلوكه هبة طبيعية ، فهو فقير معدم يعيش على حساب فؤاد ووالد فؤاد، فيضطر لان يتخذ لنفسه فلسفة خاصة، يعظ بها ابن عمه ، فنسمعه يقول له حين يطلب منه التفكير معه بمصيره مع حبيبته السويسرانية ((مادي)) بعد ان خطب له والده ابنة عمه في حلب : ((ان مشكلتك هي مشكلة يواجهها الانسان في كل لحظة من حياته .. مشكلة الاختيار والالتزام ... انت الذي تحمل عبء اختيارك وعواقبه. مشكلتك لا مخرج لها فيما يخصك الا بالعودة الى حلب حيث اصولك وجذورك .))

اما مادي وهي البطلة في القصة فقد احبت فؤاد واخلصت له واتفق مزاجها الرومانطيقي مع مزاجه ، ولكن الى جانب طبيعتها الشاعرية تلك، لم يجردها المؤلف من الرغبات الجسدية ، بل هي تعرض عطاءها على فؤاد لاثمن ما تمتلكه الفتاة ، وكانها تطلب عطاء منه ، ولكن هذا يرفض ويبقي حبها مثالا من مثله . وذلك قبل سفرها الى سويسرا ، حيث راحت تكتب له رسائل الحب والاخلاص من هناك .

ان القصة فيها سرد شيق ، لتنوع مواضيعها ولكنها ليست بذات قيمة توجيهية في مجتمعنا فنامل من المؤلف ان ينطلق بدعوته التحررية من واقع مجتمعنا في مؤلفاته القادمة ، لا ان يعرض لنا الحرية المطلقة في المجتمعات الاخرى ، ومثل لغته السهلة ومقدرته التحليلية الفذة كفيلة بان تؤدي للمجتمع العربي احسن رسالة تحررية ادبية .

يوسف حوراني

صدر حديثا

نزار قباني

شاعرا وانسانا

دراسة وافية بقلم

محيي الدين صبحي

الثمن ليرتان لبنانيتان

دار الآداب ــ بيروت